

● كتاب «الكبائر» لابن القيم

قُطُوفٌ مِنْ كِتَابٍ مَفْقُودٍ!

● لَا تُسَيِّئُوا الظَّنَّ بِبَعْضِكُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَكُمْ!

مِنْ وَصَايَا الْإِمَامِ ابْنِ بَادِيسَ

● وَصِيَّةُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْفَاسِيِّ

إِلَى أَبِي سَالِمٍ الْعِيَاشِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل
عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ، وَكُلُّ
ضَالَّةٍ فِي النَّارِ

تجدون في هذا العدد

العدد السادس، شَوَّال ١٤٤٠هـ | ماي ٢٠١٩م

◀ الافتتاحية

02 مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا صَرْتُ لَهُ عَبْدًا!!

◀ عقيدة وتوحيد

04 زِيَارَةُ الْقُبُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَالشَّرَكِيَّةِ | الشَّيْخ: أَحْمَدُ حَمَّانِي

◀ آدَابُ وَأَخْلَاقُ

06 لَا تُسَيِّئُوا الظَّنَّ بِبَعْضِكُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَكُمْ | الشَّيْخ: ابْنُ بَادِيس

◀ وَعِظٌ وَتَذَكِيرٌ

08 كِتَابُ «الْكَبَائِرِ» لِابْنِ الْقَيِّمِ: قُطُوفٌ مِنْ كِتَابٍ مَفْقُودٍ!

◀ سِيرٌ وَتَرَاجِمُ

15 لِحَظَاتٍ مَعَ الشَّيْخِ الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ | الشَّيْخ: حَمْزَةُ بُوكُوشَة

◀ أَدَبُ الْوَصَايَا

18 وَصِيَّةُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْفَاسِيِّ إِلَى أَبِي سَالِمٍ الْعِيَاشِيِّ

◀ آثَارُ سُلْفِيَّةٍ

20 بَادِيسِيَّاتُ.....

21 آثَارُ سَلَفِيَّةٍ فِي التَّوَاضُعِ.....

◀ تَارِيخٌ وَمَدَنٌ

22 وَهْرَانُ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ التَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ (٠٢).....



نشره دعوية تُعنى بالتراث
والمخطوط والسَّيَر والتَّارِيخ

التحرير:

أبو محمد سامر

للتواصل:

الهاتف:

(+213) 557658006

البريد الإلكتروني:

aboumohamedsamir@gmail.com

الموقع:

www.ilmmasabih.com

مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا صِرْتُ لَهُ عَبْدًا!!

مَقُولَةٌ مَشْهُورَةٌ، سَمِعْنَاهَا فِي سِنِّ الْمُرَاهِقَةِ، وَكَانَتْ الْمُلَاجَّةُ قَدْ عَرَفَتْ طَرِيقَهَا إِلَيْنَا، وَحَسِبْنَا أَنَا قَدْ بَلَّغْنَا مَبْلَغًا، نَسْتَطِيعُ مَعَهُ نَقْدَ أَيِّ شَيْءٍ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُنَا، بَلْ وَرَدَّهُ وَتَسْفِيهِهِ أحيانًا. وَإِذْ كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَلَمْ نَفْهَمْ لَهَا مَعْنَى سِوَى الرِّقِّ! دَافَعْنَا بِشِدَّةٍ وَبِشَيْءٍ مِنْ سُخْرِيَّةٍ، أَمَلَتْهَا الْمُرَاهِقَةُ الْمُنْدَفِعَةُ نَحْوَ التَّحَرُّرِ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ!... هَذَا مَا أَذْكُرُهُ الْآنَ عَنْ رِدَّةٍ فِعْلٍ كَانَتْ قَدِيمًا قَدِيمًا!!

ثُمَّ طَلَبْتُ لِنَتْلِكَ الْمَقُولَةَ رَأْيِي وَنَقَدْتُ أَنَاسٍ عَالِمِينَ، فَوَقَفْتُ - فِيمَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ - عَلَى كِتَابٍ «مَعْجَمِ الْمَنَاهِي اللَّفْظِيَّةِ»، فَوَجَدْتُ الشَّيْخَ الْعَلَّامَةَ يُدْرِجُهَا - أَيِ: الْمَقُولَةَ بِحُرُوفِهَا - فِيمَا يُنْهَى عَنْهُ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى مَعْنَى مُحَرَّمٍ أَوْ غَيْرِ سَائِغٍ^[١]، لَكِنَّهُ وَجَّهَ كَلَامَهُ نَحْوَ رِوَايَةِ حَدِيثِيَّةٍ مَوْضُوعَةٍ؛ وَهِيَ: «مَنْ عَلَّمَكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَكَأَنَّمَا مَلَكَ رِقِّكَ، إِنْ شَاءَ بَاعَكَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَكَ»!، وَنَقَلَ إِنْكَارَ التَّقِيِّ ابْنِ تَيْمِيَّةَ لِمَعْنَاهُ، وَأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

نَعَمْ، هُوَ مُسْتَنْكَرٌ إِذَا كَانَ الْمَعْنَى هُوَ عُبُودِيَّةُ الرِّقِّ!، وَلِي هُنَا بَعْضُ كَلِمَةٍ؛ وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَرْسَلَ تِلْكَ الْمَقُولَةَ، لِأَجْلِ ذَلِكَ الْمَقَامِ - مَقَامِ الْإِحْسَانِ -، إِنَّمَا أَرَادَ لَهَا مَعْنَى أَوْ مَعَانٍ، يُؤَكِّدُ بِهَا حَقَّ بَلِّ حُقُوقِ مَنْ أَسْرَنَا إِحْسَانَهُمْ، وَاسْتَرْقَقْنَا إِفْضَالَهُمْ، وَمَلَكَنَا إِنْعَامَهُمْ، وَالْأَسْرُ وَالْإِسْتِرْقَاقُ وَالْمِلْكُ أَوْ إِطْلَاقُ الْإِسْتِعْبَادِ، هُوَ تَجَوُّزٌ وَتَسَامُحٌ - فِيمَا أَحْسَبُ! - يُرَادُ بِهِ فِيمَا يُرَادُ: الطَّاعَةُ وَالْخُضُوعُ.

وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالْبُلْغَاءِ؛ أَرْبَابُ الْمَعَانِي:

قَالَ أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ فِي بَيْتَيْنِ لَهُ يُذَكِّرُ بِحَقِّ الصَّدِيقِ فِي عُبُودِيَّةِ الطَّاعَةِ! : «... وَكُنْ لِخَلِّكَ عَبْدًا»، يُرِيدُ: طَاعَتَهُ وَحُسْنُ مُوَافَقَتِهِ^[٢].

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْمَاوَرْدِيُّ أَنَّ الْإِحْسَانَ عُبُودِيَّةٌ وَرِقٌّ، وَالْإِمْتِنَانُ أَسْرٌ، قَالَ: وَ«قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ: بِالْإِحْسَانِ يُرْتَبَطُ الْإِنْسَانُ»^[٣]، وَقَالَ التَّوْحِيدِيُّ: «رِقُّ الْإِنْسَانِ، مِنْ ثَمَرَةِ الْإِحْسَانِ»^[٤].

١. كما في (ص ٥٣٠) مِنْهُ.

٢. [الصَّدَاقَةُ وَالصَّدِيقُ (ص: ٧١)].

٣. [أَدَبُ الدُّنْيَا وَالْدِينِ (ص: ٢٣٣)].

٤. [الْإِمْتِنَانُ وَالْمُؤَانَسَةُ (ص: ٢٤٥)].

قال أسامة بن مُنقذ في مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ^[١]:

يُعْبُدُنِي لَكَ الْإِحْسَانُ طَوْعًا وَفِي الْإِحْسَانِ رِقٌّ لِلْكَرَامِ

وقال الماوردي: «مَنْ أُسْدِيَ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفُ وَاصْطَنَعَ إِلَيْهِ الْإِحْسَانُ، فَقَدْ صَارَ بِأَسْرِ الْمَعْرُوفِ مَوْثُوقًا، وَفِي مَلِكِ الْإِحْسَانِ مَرْقُوقًا»^[٢] اهـ.

قال البُستِي في قصيدته: «عُنَوَانُ الْحِكَمِ»:

أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ

لعلّ بهذا البيان لم يبقَ مَا يُسْتَنْكَرُ في قَوْلِ القائل: «مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا صِرْتُ لَهُ عَبْدًا»؛ فَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ بِالتَّعْلِيمِ مِنْ جَهَالَةٍ أَوْ أَفَادَكَ عِلْمًا، فَقَدْ اسْتَرْكَكَ وَاسْتَعْبَدَكَ بِإِحْسَانِهِ، وَطَوَّقَ رِقَّتَكَ بِامْتِنَانِهِ، فَارْتَبَطَ بِهِ وَانْتَمَيْتَ إِلَيْهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

«نُقِلَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَوَامِّ كَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رحمته الله يَقُومُ لَهُ. فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَنَا سَمِعْتُ مِنْهُ أَنَّ الْكَلْبَ إِذَا بَلَغَ يَرْفَعُ رِجْلَهُ عِنْدَ الْبَوْلِ، وَإِنَّ الْحُرَّ مَنْ رَاعَى وَدَادَ لِحُظَّةَ، وَانْتَمَى لِمَنْ أَفَادَهُ لَفْظَةً، وَاللَّيْمَ إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا أَقَارِبَهُ، وَأَنْكَرَ مَعَارِفَهُ، وَنَسِيَ فَضْلَ مُعَلِّمِهِ»^[٣].

هذا وَإِنَّ تِلْكَ الْمَقُولَةَ الْمُشْتَهَرَةَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَرَدَّتْ مَأْثُورَةً عَنْ بَعْضِ الْأَكْبَارِ؛ قَالَ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ: «شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ» (ت ١٦٠ هـ): «كُلُّ مَنْ سَمِعْتُ مِنْهُ حَدِيثًا، فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ»^[٤].

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ

١. [الاعتبار (ص: ٥)].

٢. [أدب الدنيا والدين (ص: ٢٥٢)].

٣. [حاشية العدوي على شرح الخَرشي على مختصر خليل (٨/ ٢٣٣)].

٤. [العِلَالُ ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل (رقم ٢٩٩١)].

زِيَارَةُ الْقُبُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَالشَّرَكِيَّةِ!

• الشَّيْخُ: أَحْمَدُ حَمَانِي رحمته الله | رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر

أو الْمُبَاهَاة بِقَبْرِهِ الْفَخْمِ، أو تقديم الهدايا لما لا يسمع ولا يُبْصَر، وإنما لها غَرْضٌ صحيحٌ معقولٌ بالنسبةٍ لِلْحَيِّ وَالْمَيِّتِ: فَالْحَيُّ اتِّعَاضُهُ وَتَذَكُّرُهُ الْمَوْتِ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، لِيَرِقَّ الْقَلْبُ، وَتَدْمَعَ الْعَيْنُ، كما جاء في حديث الأمر بالزيارة، والمؤمن بالله يحتاج إلى كُلِّ هذا حتَّى لَا يَقْسُو قَلْبُهُ، وَلَا يَطْغَى فِي قَوْلٍ أو فِعْلٍ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَالَهُ مَالٌ هَذَا الْمَيِّتِ وَأَمْثَالِهِ، حتَّى الطُّغَاةُ وَالْجَبَابِرَةُ، مِثْلَ الَّذِي قَالَ يَوْمًا مَا: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، سَيَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْمَعْرُورُونَ بِالْدُّنْيَا: ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢]، فَيُجِيبُونَ: ﴿لَيْسَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣].

أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِلْمَيِّتِ، فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِدُعَاءِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَحْيَاءِ، فَعَنْ بُرَيْدَةَ رحمته الله قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُم: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ» [٢].

وقد مرَّ في سُؤَالِ عَائِشَةَ لِلرَّسُولِ ﷺ: «كَيْفَ

○ قَالَ ﷺ: «... زِيَارَةُ الْقُبُورِ كَانَتْ مِنَ الْمَحْظُورِ، ثُمَّ نُسِخَ الْحَظَرُ وَجَاءَ الْإِذْنُ فِيهَا، وَالْأَمْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلًا وَعَمَلًا وَإِقْرَارًا، مَرْوِيٌّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ عَائِشَةُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَنْسُ وَبُرَيْدَةُ، وَخَرَجَهُ أَئِمَّةُ الصَّحَاحِ وَأَهْلُ السُّنَنِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا»، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «... فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»، وَفِي حَدِيثِ أَنْسٍ: «... أَلَا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ وَتَدْمَعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ» [١].

وروى البخاريُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهَا الزِّيَارَةَ، فَزِيَارَةُ الْقُبُورِ مَا ذُودُ فِيهَا وَمَأْمُورٌ بِهَا، دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ وَفِعْلُهُ وَإِقْرَارُهُ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي حُكْمِ زِيَارَةِ النِّسَاءِ لَهَا ...

ليس الغَرْضُ مِنَ الزِّيَارَةِ الشَّرْعِيَّةِ تَكْرِيمُ الْمَيِّتِ،

١. رواه مسلمٌ والنسائي.

٢. رواه مسلمٌ وأحمد وابن ماجه.

أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِذَا زُرْتُ الْقُبُورَ؟ قَالَ: قُولِي: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...»^[١].

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَيِّتَ يَتَنَفَّعُ بِالدُّعَاءِ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وَفِعْلُ الْأَنْبِيَاءِ؛ كَمَا قَصَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [إبراهيم: ٤١]، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

هَذِهِ هِيَ الزِّيَارَةُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ وَأَذِنَ فِيهَا، فَإِذَا خَالَفت عَنْهَا لَمْ تَكُنْ سُنَّةً، وَلَمْ يَشْمَلْهَا الْإِذْنُ، وَخُصُوصًا إِذَا كَانَ فِيهَا تَعْظِيمُ الْقَبْرِ أَوْ سَاكِنِهِ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ، فَإِنَّهُ عِبَادَةٌ، وَمِنْ أخطَرِهَا أَفْعَالُ الْجَاهِلِيَّةِ: أَنْ تُزَارَ الْقُبُورُ لِلتَّمَسُّحِ بِهَا، أَوْ تَقْبِيلِهَا، أَوْ السُّجُودِ عَلَيْهَا، أَوْ دُعَاءِ سَاكِنِيهَا، وَاعْتِيَادِ جَلْبِ النَّفْعِ أَوْ دَفْعِ الضَّرَرِ مِنَ (الْوَلِيِّ) السَّاكِنِ رَمْسُهُ تَحْتَ ثَرَابِهَا، فَكُلُّ هَذَا مِنْ أَفْعَالٍ مَنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَنَتَبَرَّأُ مِنْ فَاعِلِهِ.

الْخُلَاصَةُ أَنَّ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ هِيَ كَمَا بَيَّنَّاهَا، وَغَيْرُهَا بِدْعَةٌ، فَمَا عَلَيْنَا لَوْ أَخَذْنَا بِالزِّيَارَةِ وَكَيْفَنَاهَا بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَاكْتَفَيْنَا بِهَا؟...».

[١] فتاوى الشيخ أحمد حماني (٢/٤٨٨-٤٩٠)، ط. وزارة الشؤون

الدينية - الجزائر، و(٢/٧٩-٨٠)، ط. عالم المعرفة.

لَا تَسِيئُوا الظَّنَّ بِبَعْضِكُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَكُمْ!

• مِنْ وَصَايَا الْإِمَامِ ابْنِ بادِيسٍ رحمته الله

وَكَتَبَ الرَّئِيسُ افْتِتَاحِيَّةَ الْأَعْدَادِ التَّالِيَةِ فِي الْمَوْضُوعِ^[٢]، وَنَشَرْنَا مَا جَاءَنَا مِنْ تَهَانٍ.

وَبَعْدَ هَذَا نَرَى السَّيِّدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَرَكَاتِي^[٣]؛ يَكْتُبُ إِلَيْنَا بِاسْمِ ثَلَاثَةٍ مِنْ إِخْوَانِنَا الْبِسْكَرِيِّينَ مُحْتَدًا مُحْتَجًّا ضِدَّ «الْبَصَائِرِ» وَمُؤَدِّرَهَا، مُعَرِّضًا بَأْنَ فِي قَلْبِنَا مَرَضًا، ذَلِكَ بِأَنِّي لَمْ أَكْتُبْ فِي «الْبَصَائِرِ» التَّهْنِئَةَ بِالْبَرَاءَةِ بِقَلَمِي!

وَنَحْنُ نَقُولُ: لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَيَّ إِنْ كَانَ فِي قَلْبِي مَرَضٌ أَوْ ضَعْفٌ سُرُورٍ بِرَاءَةِ الْأُسْتَاذِ الْعُقَيْبِيِّ وَرَفِيقِهِ.

ثُمَّ أَفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ الْعَالِمِ بِالسَّرَائِرِ فِي حُكْمِهِ عَلَى مَنْ سَاءَ ظَنُّهُ بِي فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ.

أَكْتُبُ هَذَا وَمَا بِي ضَعْفٌ عَنْ تَحْمُلِ مَسْئُولِيَّةِ عَمَلِي عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، وَمَا فِي ثِقَتِي بِاللَّهِ

٢. وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ يَكْتُبُ الْمَقَالَ الْإِفْتِتَاحِي، وَلَكِنْ جَاءَ الْعِدَدُ (١٧٢)، خَالِيًا مِنْهُ، فَكَتَبَ الشَّيْخُ مُبَارَكُ مَا يَلِي: «الْمَقَالَ الْإِفْتِتَاحِي: اشْتَغَلَ الرَّئِيسُ الْجَلِيلُ عَنْ تَحْرِيرِ الْمَقَالَ الْإِفْتِتَاحِي بِتَبَّعِ سَيْرِ بَحْثِ الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ الطَّيِّبِ الْعُقَيْبِيِّ فِي مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ. وَلِهَذَا يَعْتَذِرُ عَنْ تَأْخُرِ مَقَالِهِ عَنْ هَذَا الْعِدَدِ» اهـ. انظر: «البصائر»، عدد (١٧٢)، (ص ٣). ثُمَّ كَتَبَ الرَّئِيسُ افْتِتَاحِيَّاتِهِ فِي الْمَوْضُوعِ. انظر العددين: (١٧٣) و(١٧٤).

٣. الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَرَكَات: هُوَ رَئِيسُ شُعْبَةِ جَمْعِيَّةِ الْعُلَمَاءِ بِ«بِسْكَرَةِ». انظر: «البصائر»، عدد ٥١، (ص ٥).

هَذِهِ شَذْرَةٌ مِنْ تَارِيخِ رِجَالٍ! كَانُوا عَامِلِينَ مُتَعَاوِنِينَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانُوا مُخْلِصِينَ، دَبَّ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ خِلَافٍ! وَسَاءَتْ بَعْضُهُمْ ظُنُونُ! وَكَانَ إِسْرَاعٌ فِي الْقَوْلِ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَوَقَعَ مَا لَا يُرْضَى مِنَ الْإِتِّهَامِ أَوْ التَّجَنِّيِّ!! فَكَانَ حَتْمًا أَنْ يَكُونَ فِي هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ مَنْ يُصْلِحُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَيَقُومُ بِنُصْرَةِ إِخْوَانِهِ، امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»!... وَمَنْ نَعُدُّ فِي الرِّجَالِ إِذَا لَمْ نَعُدِّ «عَبْدَ الْحَمِيدِ ابْنَ بادِيسٍ»؛ الَّذِي هُوَ «أَبُو الْجَمِيعِ»؟!، وَلَقَدْ حَبَّرَ ﷺ نَصِيحَةً لِإِخْوَانِهِ وَأَبْنَائِهِ؛ عَنْوَانَهَا: «لَا تُسِيئُوا الظَّنَّ بِبَعْضِكُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَكُمْ». كَانَ ذَلِكَ فِي إِثْرِ وَاقِعَةٍ، إِلَيْكُمْ سَرَدَهَا، وَيَتْلُوهَا نَصُّ نَصِيحَةِ الْإِمَامِ!

* تَحْتَ عَنْوَانٍ: «حَوْلَ بَرَاءَةِ الشَّيْخِ الطَّيِّبِ وَرَفِيقِهِ^[١]»، كَتَبَ الشَّيْخُ مُبَارَكُ الْمِيلِي؛ مُحَرَّرٌ وَمُؤَدِّرٌ جَرِيدَةَ «الْبَصَائِرِ» قَائِلًا: «تَبَّعْنَا حَسَبَ الْإِمْكَانِ قَضِيَّةَ الشَّيْخِ الطَّيِّبِ وَرَفِيقِهِ، وَكَتَبْنَا عَنْهَا فِي الْعَدَدَيْنِ (١٧١) وَ(١٧٢)؛ مَا يُعْبَرُ عَنْ تَضَامُنِنَا وَحُسْنِ عَوَاطِفِنَا؛ إِرْضَاءً لِمُضَامِرِنَا، لَا تَزْلَفًا لِأَحَدٍ، وَلَا تَقَرُّبًا مِنْ آخَرٍ، وَأَبْرَقْنَا إِلَى الشَّيْخِ الطَّيِّبِ مُهَيَّئِينَ.

١. أَي: مِنْ تَهْمَةٍ تَدِيرُ قَتْلَ الْمُفْتِي الْمَالِكِيِّ بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ.

مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الَّذِي نَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ الرَّضِيَّةَ وَقَلْبُهُ الطَّيِّبَ.

أَكْتُبُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَا لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَحْدَهُ، بَلْ لَنَا كُلُّنَا، حَتَّى لَا نَدَعَ لِلشَّيْطَانِ فِيمَا بَيْنَنَا سَبِيلًا، وَأَرْجُو أَنْ تَقَعَ مَوْعِظَةُ الْقَبُولِ مِنَ الْجَمِيعِ، كَمَا صَدَرَتْ مِنْ قَلْبٍ -عَلِمَ اللَّهُ- هُوَ لِلْجَمِيعِ. جَمَعَ اللَّهُ قُلُوبَنَا عَلَى الْحَقِّ، وَوَقَّانَا كَيْدَ الْكَائِدِينَ». «عبد الحميد بن باديس»^[٢].

✽ قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَادِيسٍ فِي كِتَابِ مُؤَرَّخٍ فِي (٩ رَجَب ١٣٥٦ هـ - موافق ١٥/٩/١٩٣٧ م): «الْأَخُ الْكَرِيمُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ خَيْرُ الدِّينِ - أَيْدَهُ اللَّهُ وَحَفَظَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَبَعْدُ: فَأُنَبِّهُكُمْ إِلَى مَا يَجِبُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِالشَّيْخِ حَمْزَةَ بُوْكُوشَةَ، فَلَيْسَ مِثْلُهُ مِمَّنْ يُتَهَاوَنُ بِهِ، أَنْشُكُو مِنْ قَلَّةِ الرِّجَالِ ثُمَّ نَتَغَاوَلْ عَنْ مِثْلِهِ؟!...»^[٣].

ضَعْفٌ مِنْ كَشَفِ أَغْرَاضِ الْفَتَّانِينَ وَاسْتِبْصَارِ الْمُنْخَدِعِينَ»^[١].

✽ «لَا تُسَيِّئُوا الظَّنَّ بِبَعْضِكُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَكُمْ»

«بَعْدَمَا قَرَأْتُ مَا كَتَبَهُ الْأُسْتَاذُ مُدِيرُ «الْبَصَائِرِ» فِيمَا جَاءَهُ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَرَكَاتِي، وَقَفْتُ عَلَى نَفْسِ كِتَابِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَسِفْتُ لِمَا رَأَيْتُ فِيهِ مِنْ سُوءِ ظَنِّ الْأَخِ بِأَخِيهِ وَسُرْعَةِ تَجَنُّهِ عَلَيْهِ، فَمُدِيرُ «الْبَصَائِرِ» رَأَى أَنَّ مَا كَتَبَهُ رَئِيسُ الْجَمْعِيَّةِ هُوَ بِلِسَانِ الْجَمْعِيَّةِ كُلِّهَا، وَ«الْبَصَائِرِ» مِنْ جُمْلَتِهَا، فَإِذَا كَانَ الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَمْ يَرِ فِي ذَلِكَ كِفَايَةً، فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ هَذَا لِأَخِيهِ مُدِيرِ «الْبَصَائِرِ» كَرَأْيٍ، أَوْ يُوجِّهَهُ إِلَيْهِ كَعِتَابٍ، فَأَمَّا سُوءُ الظَّنِّ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِالشَّيْخِ مُبَارَكٍ، فِي جَانِبِ الشَّيْخِ الطَّيِّبِ، فِي قَضِيَّةِ هِيَ قَضِيَّةُ الْجَمِيعِ، فَمِمَّا نَعِيدُ الْأَخَ الشَّيْخَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِهِ، وَلَا

نَدْرِي كَيْفَ كَانَ هَذَا

١. [«الْبَصَائِرِ»، عَدَد ١٧٥، (ص ٣)].

٢. [«الْبَصَائِرِ»، عَدَد ١٧٦، (ص ٢)].

٣. [رِسَالَةٌ مَخْطُوطَةٌ نُشِرَتْ فِي كِتَابِ: «الْإِمَامُ ابْنُ بَادِيسٍ رَائِدُ النُّهْضَةِ...» لِلزُّبَيْرِ بْنِ رِحَالٍ (ص ١٣٦-١٣٧)].

كِتَابُ «الْكَبَائِرِ» لِابْنِ الْقِيَمِ

قُطُوفٌ مِنْ كِتَابٍ مَفْقُودٍ!

وجزأه عن المسلمين خيراً! اهـ.

لقد عَدَدَ الْمُتَبِعُونَ لآثار هذا الإمام مُصَنَّفَاتِهِ ومؤَلَّفَاتِهِ، الكبار منها والصَّغار، المطبوعة منها -بذكر طبعاتها- والمخطوطة -بذكر أماكن وجودها-، وما هو في عداد المفقود منها -مِمَّا ذكره هو أو ذكره له مُتَرَجِّمُوهُ أو نقل عنه منها المُصَنِّفُونَ-، ومن أفاضل أولئك المعتنين بميراث الإمام: العلامةُ الشَّيخُ بكر أبو زيد رحمته الله، ولا يخفى على المُطَّلِعِينَ: ذلكم المشروع العظيم: جمع آثار ابن قِيَمِ الجوزية وإعادة طبعها على أحسن النسخ وأجودها وبخدمةٍ لائقةٍ بها، وقد صدر منها أجزاء مُهمَّةٌ غاليةٌ نفيسةٌ، اغتبط لها أهل العلم ومُحِبُّوهُ، وهم في انتظار إخراج البقية منها، وهم إلى ما لم يُطبع بالمرَّة مُتَشَوِّفُونَ ومُتَطَلِّعُونَ!

أقول: من تِلْكَمُ التَّصَانِيفِ الحافلة: «كِتَابُ الْكَبَائِرِ». ذَكَرَهُ لَهُ تلميذه الحافظ ابن رجب، وقال عنه: إِنَّهُ «مُجَلَّدٌ» -كما في «ذيل طبقات الحنابلة»-. ولم يزل الكتاب إلى حَدِّ الآن -في حدود علمي واطَّلاعي- في عداد المفقود من آثاره، لَا نَعْلَمُ عَنْهُ شيئاً!

وهذه قُطُوفٌ مِنْ الْكِتَابِ عَثَرْنَا عَلَيْهَا فِي بَعْضِ

لم يزل المتعلِّقون بِتُرَاثِ الإمام الرَّبَّانِيِّ ابن قِيَمِ الْجَوَازِيَّةِ رحمته الله يَتَشَوِّفُونَ إِلَى الإِطْلَاعِ عَلَى المفقود مِنْ آثاره؛ لِمَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ هذا الإمام وعهدوه مِنَ المعاني الرَّائِقَةِ والعبارات الفائقة الَّتِي حَوَّتْهَا مُصَنَّفَاتُهُ الْإِيْقَةُ، وَالَّتِي لم تزل مُبْتَغَى لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ التَّحْقِيقَ الْمَدَقَّ وَرَامَ النُّقْلَ الْمُصَدَّقَ، وَقَدْ ظَلَّتْ عُدَّةً لِكُلِّ مُوَحِّدٍ سُنِّيٍّ، وَذَخِيرَةً لِكُلِّ سَلَفِيٍّ أَثَرِيٍّ، وَدَلِيلَ صِدْقٍ لَطَالِبِ النِّجَاةِ.

قال الحافظ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعَبَرِ»: «وَمُصَنَّفَاتُهُ سَائِرَةٌ مَشْهُورَةٌ» اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير فِي «تاريخه» (١٢٦/١٤ - إحياء التراث): «صاحبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْكثِيرَةِ النَّافِعَةِ الْكَافِيَةِ».

ونقل الشوكاني فِي ترجمته -مِنْ «البدر الطالع»- قَوْلَ الحافظ ابن كثير: «وَكُلُُّ تَصَانِيفِهِ مَرغُوبٌ فِيهَا بَيْنَ الطَّوَائِفِ»، وَقَوْلَ الحافظ ابن حجر: «وَلَهُ مَلَكَةٌ قَوِيَّةٌ» اهـ، ثُمَّ قَالَ: «وَلَهُ مِنْ حُسْنِ التَّصَرُّفِ مَعَ الْعُدُوبَةِ الرَّائِدَةِ وَحُسْنِ السِّيَاقِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَالِبُ الْمُصَنِّفِينَ؛ بَحِثْ تَعَشُّقُ الْأَفْهَامِ كَلَامَهُ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ الْأَذْهَانُ وَتُحِبُّهُ الْقُلُوبُ، وَلَيْسَ لَهُ عَلَى غَيْرِ الدَّلِيلِ مُعَوَّلٌ فِي الْغَالِبِ... فَرَحِمَهُ اللَّهُ

الْكُتُبِ الَّتِي نَقَلَتْ عَنْهُ.

✽ في كتاب «العقد الثمين في بيان مسائل الدين»^[١]، لِمُؤَلِّفِهِ: أَبِي الْمَعَالِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ سَعِيدِ السُّوَيْدِيِّ الْبَغْدَادِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت ١٢٣٧هـ):

١- قال (ص ٣١٦-٣١٧):

«وقال العلامة ابن القيم في كتابه «الكبائر» ما نصّه:

فصل: يكفر مَنْ يعبد غير الله ﷻ من رسولٍ أو نبيٍّ أو جنِّيٍّ أو نجمٍ أو ملكٍ أو شيخٍ أو غير ذلك، وقد يقع في هذا بعض الجهال المنتسبين إلى دين الإسلام في أمورٍ تقع منهم عن جهلٍ، فمن ذلك المنتسبون إلى المشايخ، كالشيخ أحمد الرفاعي، أو الشيخ يونس، أو الشيخ عدي، أو غيرهم، لأنهم متألهون بذكرهم ومحبتهم من دون الله، منعكفين على قبورهم؛ يقبلونها، ويسجدون لها، ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم المغفرة وقضاء الحوائج، وهذا أصل عبادة الأوثان، وهو نوع من الإشراف بالله. ثم ذكر كلاماً طويلاً في أحوال المشركين، وكيف زين لهم الشيطان أعمالهم، وأن أصل عبادة الأوثان كان عن تعظيم الصالحين وآثارهم، ثم قال:

ومن ذلك الاستغاثة بهم في قضاء حوائجهم،

١. في العقائد السلفية. كما قال محمود شكري الألويسي في ترجمته من «المسك الأذفر» (١/٢٢٦). وقد فرغ من تأليفه سنة ١٢١٤هـ كما في خاتمته، وهو من طبع الجابي، دار ابن حزم، ط ١/١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

والحلف بهم، والتواجد عند ذكرهم ما لا يفعلونه عند سماع آياته، فمن استعان بغير الله أو استغاث به كما يقوله هؤلاء المتولّهون بالمشايخ: يا سيدي الشيخ فلان! فقد أشرك مع الله غيره، قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٢٢]، أي: شركاء تستغيثون بهم وتعبّدونهم من دون الله، وقال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^[٢]، فمن سأل غير الله المغفرة أو قضاء الحوائج واستعان بغير الله، فقد أشرك مع الله. اهـ.

ثم عدّ من الشرك الحلف بغير الله تعالى، وقول: ما لي إلا الله وأنت، أو ما شاء الله وشئت، وتعليق الرقي والتمايم والتولة، والمراءة في الأعمال... اهـ.

٢- وقال (ص ٣٦٣-٣٦٤):

«وقال أيضاً ابن القيم في كتابه «الكبائر»: ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «الرُقَى والتمايم [والتولة] شرك» رواه الإمام أحمد وأبو داود^[٣].

والتولة: نوع من السحر، وهو تحبيب المرأة إلى الزوج.

والتمايم جمع تيممة، وهي: خرزة يعلقونها

٢. «صحيح الجامع الصغير» للألباني (رقم ٧٩٥٧).

٣. صحيح. كما في «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» للألباني (رقم ٢٩٨).

على الولد يزعمون أنها ترد العین. انتهى» اهـ.

* وفي كتاب «تنبيه الغافلين» لابن النحاس الدمشقي الذي فرغ من تصنيفه سنة (٨١١هـ)، فصل كبير في (الكبائر والصغائر)، يقول (ص ١٤٨/ ط. الهنداوي): «... وقد ذكرت هذا الفصل إلى آخره، نسجاً على غير منوال، لعدم وقوفي على مصنف مفرد في الكبائر، ثم لما أتممت الكتاب، وقفت على مصنف الحافظ شمس الدين الذهبي، ومصنف الإمام العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية - رضي الله تعالى عنه - فوجدتهما أهملًا كثيرًا مما ذكرته، مع وضوح الدليل فيه، وذكرًا - أيضًا - أشياء ما كنت ذكرتها، فألحقتها، كما ستقف عليه - إن شاء الله تعالى - . والله أسأل المعونة والتوفيق» اهـ.

٣- قال (ص ١٦٤):

«ومنها: إتيان الكهان والعرافين والمنجمين مع التصديق لهم فيما يقولون ... وكذا عدّه الحافظ شمس الدين الذهبي^[١]، والشيخ شمس الدين ابن القيم في كتابيهما من الكبائر. واستدلّا عليه بما في «صحيح مسلم»...: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»... إلخ» اهـ.

٤- وقال (ص ١٦٩):

«ومنها: لعن المسلم لغير سبب شرعي، ولعن من لا يستحق اللعن: كذا عدّه الشيخ شمس الدين...
١. هو كذلك في «الكبائر» للذهبي (الكبيرة الحادية والأربعون) (ص ١١٨).

ابن القيم، والحافظ الذهبي^[٢] وغيرهما، لقوله ﷺ: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ فِي الْإِثْمِ»^[٣]... اهـ.

٥- وقال (ص ١٧١):

«ومنها: تتبع عورات المسلمين: كذا عدّه ابن القيم في الكبائر. واستدلّ عليه بما رواه الترمذي...: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ»^[٤]... اهـ.

٦- وقال (ص ١٧١):

«ومنها: قوله في يمينه: وإلا كنت يهوديًا أو نصرانيًا أو كافرًا، أو نحو هذا الكلام وهو كاذب: وكذا عدّه ابن القيم في الكبائر أيضًا... اهـ.

٧- وقال (ص ١٧٥):

«ومنها: الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع: وكذا عدّه الذهبي^[٥]، والعلامة شمس الدين ابن القيم... اهـ.

٨- وقال (ص ١٧٧):

«... وقد عدّ النياحة واللطم من الكبائر جماعة منهم: الذهبي^[٦] وابن القيم رحمهما الله تعالى» اهـ.

٢. هو كذلك في «الكبائر» للذهبي (الكبيرة التاسعة والثلاثون) (ص ١١٢).

٣. «صحيح الجامع الصغير» للألباني (رقم ٧١٠)، دون قوله: «في الإثم»

٤. «صحيح الجامع الصغير» للألباني (رقم ٧٩٨٤ و ٧٩٨٥).

٥. هو كذلك في «الكبائر» للذهبي (الكبيرة السابعة والأربعون) (ص ١٢٩).

٦. هو كذلك في «الكبائر» للذهبي (الكبيرة السادسة والأربعون) (ص ١١٨).

٩- وقال (ص ١٩١):

«وَمِنْهَا: الْإِحْدَاثُ فِي الدِّينِ: لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُخْدِنًا»^[١]. قال الشيخ شمس الدين بن القيم: وهذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه؛ فكلما كان الحدث أكبر، كانت الكبيرة أعظم. وقد عدَّ الحافظ الذهبي في الكبائر^[٢]: «مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً»، وهذا معنى الإحداث في الدين، والله أعلم» اهـ.

١٠- وقال (ص ١٩٢):

«وَمِنْهَا: الْإِرْتِشَاءُ فِي الْحُكْمِ ... قال الشيخ شمس الدين بن القيم: ويدخل في الرشوة هدايا العمل^[٣]» اهـ.

١١- وقال (ص ٢٠٠):

«وَمِنْهَا: التَّحِيلُ عَلَى إِسْقَاطِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ إِبَاحَهُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَا عَدَّهُ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَيِّمِ، قَالَ: وَقَدْ مَسَخَ اللَّهُ الْيَهُودَ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ عَلَى تَحْيِيلِهِمْ عَلَى اسْتِبَاحَةِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ صَيْدِ الْحَيَاتَانِ يَوْمَ السَّبْتِ. وَقَدْ عَابَ اللَّهُ تَعَالَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الَّتِي عَزَمُوا عَلَى صَرْمِهَا لَيْلًا، لِيُسْقِطُوا نَصِيبَ الْمَسَاكِينِ، بِأَنْ أَتْلَفَهَا عَلَيْهِمْ،

والأربعون) (ص ١٢٧).

١. البخاري ومسلم.

٢. هُوَ كَذَلِكَ فِي «الْكِبَائِرِ» لِلذَّهَبِيِّ (الْكِبِيرَةُ التَّاسِعَةُ وَالْخَمْسُونَ) (ص ١٥٢).

٣. لَعَلَّهَا: الْعُمَالُ.

وَجَعَلَهَا كَالصَّرِيمِ، عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى تَحْيِيلِهِمْ عَلَى إِسْقَاطِ الْحَقِّ الَّذِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَلَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ عَلَى اسْتِبَاحَةِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّحُومِ، فَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا، فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا»^[٤]، وَقَالَ أَيْضًا: «لَا تَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَدْنَى الْحِيلِ»^[٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢).

وَالْمُخَادَعَةُ هِيَ الْإِخْتِيَالُ، وَالْمُرَاوَعَةُ بِإِظْهَارِ مَا يَجُوزُ فِعْلُهُ، وَإِطْأَانِ مَا لَا يَجُوزُ. فَمُخَادَعَةُ اللَّهِ حَرَامٌ، وَالْحِيلُ عَلَى اسْتِبَاحَةِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَإِسْقَاطِ مَا فَرَضَ مُخَادَعَةٌ. انْتَهَى» اهـ.

١٢- وقال (ص ٢٠٢-٢٠٣):

«وَمِنْهَا: كُفْرُ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِ: كَذَا عَدَّهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ شَمْسُ الدِّينِ^[٦]، وَالشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَيِّمِ. وَاسْتَدَّلَا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^[٧] ... وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُفْرُ النُّعْمَةِ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَشُكْرُهَا بِالْمُجَازَاةِ أَوْ بِالِدُّعَاءِ» اهـ.

٤. البخاري ومسلم.

٥. ضَعِيفٌ. كَمَا فِي «غَايَةِ الْمَرَامِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ» لِلْأَلْبَانِيِّ (رَقْم ١١).

٦. هُوَ كَذَلِكَ فِي «الْكِبَائِرِ» لِلذَّهَبِيِّ (الْكِبِيرَةُ السَّبْعُونَ) (ص ١٦٤).

٧. «صَحِيحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ» لِلْأَلْبَانِيِّ (رَقْم ٧٧١٩).

١٣- وقال (ص ٢٠٣):

«وَمِنْهَا: الْحَسَدُ: ... وقد عَدَّهُ ابْنُ الْقَيِّمِ وَغَيْرُهُ مِنْ الْكِبَائِرِ» اهـ.

١٤- وقال (ص ٢٠٤):

«وَمِنْهَا: سُوءُ الْحَوَارِ: وقد عَدَّهُ الشَّيْخُ شمس الدِّينِ بَنُ الْقَيِّمِ -أَيْضًا- وَغَيْرُهُ مِنْ الْكِبَائِرِ ...» اهـ.

١٥- وقال (ص ٢٠٦):

«وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَسْتَمِعُ حَدِيثَ قَوْمٍ يَكْرَهُونَ سَمَاعَهُ إِيَّاهُ: وقد عَدَّهُ الشَّيْخُ شمس الدِّينِ بَنُ الْقَيِّمِ فِي الْكِبَائِرِ أَيْضًا. وقال الذَّهَبِيُّ^[١]: يَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَكُونَ كَبِيرَةً» اهـ.

١٦- وقال (ص ٢١٢):

«وَمِنْهَا: الْمُسَاحَقَةُ: ... كَذَا عَدَّهُ الشَّيْخُ شمس الدِّينِ بَنُ الْقَيِّمِ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِمَا رَوَى...: «السَّحَاقُ زِنَا النِّسَاءِ بَيْنَهُنَّ»^[٢]، وَبِمَا رَوَى...: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُمْ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: الرَّاكِبُ وَالْمَرْكُوبُ، وَالرَّاكِبَةُ وَالْمَرْكُوبَةُ، وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ»^[٣]» اهـ.

١٧- وقال (ص ٢١٩-٢٢٠):

«مِنْهَا: الْجُلُوسُ وَسَطَ الْحَلَقَةِ...-وَذَكَرَ حَدِيثَ حُذَيْفَةَ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ الَّذِي يَجْلِسُ وَسَطَ الْحَلَقَةِ^[٤]... - وقد عَدَّ ابْنُ الْقَيِّمِ الْجُلُوسَ وَسَطَ الْحَلَقَةِ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَذَكَرَ أَنَّ إِسْنَادَ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^[٥]» اهـ.

١٨- وقال (ص ٢٢٠):

«وَمِنْهَا: تَعَلُّمُ الْعِلْمِ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ... قال شمس الدِّينِ بَنُ الْقَيِّمِ: وهذا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ» اهـ.

١٩- وقال (ص ٢٢١):

«وَمِنْهَا: أَنْ يُسْأَلَ عَنْ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ فَيَكْتُمَهُ مَعَ تَعَيُّنِ الْجَوَابِ عَلَيْهِ: وقد عَدَّهُ الذَّهَبِيُّ^[٦] وَالشَّيْخُ شمس الدِّينِ بَنُ الْقَيِّمِ مِنَ الْكِبَائِرِ مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ» اهـ.

٢٠- وقال (ص ٢٢٣):

«وَمِنْهَا: الْكَلِمَةُ الَّتِي تَعْظُمُ مَفْسَدَتُهَا وَيَتَشَرُّ ضَرَرُهَا، وَلَا يُلْقَى لَهَا قَائِلُهَا بَالًا: قال الشَّيْخُ شمس الدِّينِ بَنُ الْقَيِّمِ: وهي ما يُسَخِطُ اللَّهُ ﷻ؛ لِمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ

(رقم ١٤٥٠).

٤. ضعيف. كما في «ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم ٤٦٩٤).

٥. لم يُعَدَّهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْكِبَائِرِ»، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ تَحْتَ (فصل جامع لما يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ) فِي آخِرِ الْكِتَابِ.

٦. هُوَ كَذَلِكَ فِي «الْكِبَائِرِ» لِلذَّهَبِيِّ (الكبيرة الخامسة والثلاثون) (ص ١٠١).

رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُن فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»... اهـ^[١].

٢١- وقال (ص ٢٢٥):

«وَمِنْهَا: رَفَعَ الْمَأْمُومُ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَبْلَ الْإِمَامِ: كَذَا عَدَّةُ ابْنِ الْقَيِّمِ فِي الْكِبَائِرِ» اهـ.

٢٢- وقال (ص ٢٢٥):

«وَمِنْهَا: الْمُرُورُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي وَسُتْرَتِهِ: كَذَا عَدَّةُ ابْنِ الْقَيِّمِ - أَيْضًا - فِي الْكِبَائِرِ» اهـ^[٢].

٢٣- وقال (ص ٢٢٩):

«وَمِنْهَا: تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: كَذَا عَدَّةُ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ بَنِ الْقَيِّمِ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ...: «الَّذِي يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِ الْإِمَامِ كَالْجَارِّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ»^[٣]...» اهـ.

٢٤- وقال (ص ٢٣٤):

«وَقَدْ عَدَّ ابْنُ الْقَيِّمِ وَغَيْرُهُ اسْتِحْلَالَ حَرَمِ الْمَدِينَةِ وَالْإِحْدَاثَ فِيهَا مِنَ الْكِبَائِرِ» اهـ.

٢٥- وقال (ص ٢٣٦):

«وَمِنْهَا: إِفْشَاءُ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ سِرِّ الْآخَرِ... وَقَدْ عَدَّهُ ابْنُ الْقَيِّمِ ﷺ وَغَيْرُهُ مِنَ الْكِبَائِرِ»^[٤] اهـ.

٢٦- وقال (ص ٢٣٧):

«وَمِنْهَا: إِفْسَادُ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا وَالْعَبْدِ عَلَى سَيِّدِهِ: كَذَا عَدَّةُ ابْنِ الْقَيِّمِ ﷺ وَغَيْرُهُ فِي الْكِبَائِرِ»^[٥] اهـ.

٢٧- وقال (ص ٢٣٨):

«وَمِنْهَا: أَنْ يُغَيِّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ: وَهُوَ عَلَامَاتُ الطَّرِيقِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا السَّائِرُونَ، فَإِذَا غَيَّرَهَا ضَلَّ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ قَصْدِهِمْ. كَذَا قَالَ الذَّهَبِيُّ^[٦] وَابْنُ الْقَيِّمِ وَغَيْرُهُمَا. وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»^[٧] اهـ.

٢٨- وقال (ص ٢٣٩):

«وَمِنْهَا: لُبْسُ الرِّجَالِ الْحَرِيرِ: كَذَا عَدَّةُ الذَّهَبِيِّ^[٨] وَابْنُ الْقَيِّمِ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْكِبَائِرِ» اهـ.

٤. لَمْ يَعُدَّهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْكِبَائِرِ»، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ تَحْتَ (فَصَلْ جَامِعَ لِمَا يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ) فِي آخِرِ الْكِتَابِ.

٥. لَمْ يَعُدَّهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْكِبَائِرِ»، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ تَحْتَ (فَصَلْ جَامِعَ لِمَا يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ) فِي آخِرِ الْكِتَابِ.

٦. هُوَ كَذَلِكَ فِي «الْكِبَائِرِ» لِلذَّهَبِيِّ (الْكِبِيرَةُ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ) (ص ١٤٨).

٧. مُسْلَمٌ.

٨. هُوَ كَذَلِكَ فِي «الْكِبَائِرِ» لِلذَّهَبِيِّ (الْكِبِيرَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْخَمْسُونَ) (ص ١٤٤).

١. لَمْ يَعُدَّهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْكِبَائِرِ»، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ تَحْتَ (فَصَلْ جَامِعَ لِمَا يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ) فِي آخِرِ الْكِتَابِ.

٢. لَمْ يَعُدَّهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْكِبَائِرِ»، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ تَحْتَ (فَصَلْ جَامِعَ لِمَا يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ) فِي آخِرِ الْكِتَابِ.

٣. ضَعِيفٌ جَدًّا. كَمَا فِي «ضَعِيفُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ» لِلْأَلْبَانِيِّ (رَقْمُ ١٥٢٥).

٢٩- وقال (ص ٢٤٢):

وَنَحْوَهَا، وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ عَائِشَةَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْعَنُ الْقَاشِرَةَ وَالْمَقْشُورَةَ^[٣٦] اهـ.

٣٢- وقال (ص ٢٥١):

«وَمِنْهَا: اللَّعِبُ بِالنَّزْدِ ... وكذا عَدَّهُ ابْنُ الْقَيِّمِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْكِبَائِرِ؛ لِمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»...: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّزْدِ شَيْئًا فَكَأَنَّما صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خَنْزِيرٍ» اهـ.

٣٣- وقال (ص ٢٥٥):

«وَمِنْهَا: بُغْضُ الْأَنْصَارِ... قال الشيخ شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى: والمُرَادُ بِالْأَنْصَارِ مَنْ نَصَرَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَدِينَهُ، وهؤلاء باقون إلى يوم القيامة، فمُعَادَاةُ هَؤُلَاءِ وَبُغْضُهُمْ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ. انتهى^[٤١] اهـ.

٣٠- وقال (ص ٢٤٤):

«وَمِنْهَا: اسْتِعْمَالُ أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِلرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْإِدْهَانِ وَالْإِكْتِحَالِ: وكذا قال الشيخ شمس الدين بن القيم وَغَيْرُهُ^[٤١] اهـ.

«وَمِنْهَا: سُوءُ الْمَلَكَةِ: لِمَا رُوِيَ...: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»^[٤٢] ... وقد ذكره الشيخ شمس الدين بن القيم في «الكبائر» وذكر أنه هذا الحديث ثابت، والله أعلم اهـ.

٣١- وقال (ص ٢٤٨-٢٤٩):

«وَمِنْهَا: تَفْلِيحُ الْأَسْنَانِ بِالْمِبْرَدِ وَنَحْوِهِ لِلتَّزْيِينِ، وَيُقَالُ لَهُ الْوَشْرُ... وقد عَدَّ الشيخ شمس الدين بن القيم مع ما ذكرناه الْقَشْرَ؛ وَهُوَ جَرْدُ الْوَجْهِ بِغَمْرَةٍ

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين؛ بحيث تعشق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتحبب القلوب، وليس له على غير الدليل معول في الغالب... فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً»

١. ذكر الذهبي في «الكبائر» (الكبيرة الرابعة والستون: الشرب في الذهب والفضة) (ص ١٥٧).
٢. ضعيف. كما في «ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم ٤٦٨٦).
٣. ضعيف. كما في «ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم ٤٦٨٦).
٤. ذكر الذهبي في «الكبائر» (الكبيرة الثامنة والخمسون: سب الأنصار في الجملة) (ص ١٥٢).
٥. ضعيف. كما في «ضعيف الجامع الصغير» للألباني (رقم ٦٣٤٠).

لَحَظَاتٌ مَعَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرٍ لِلدُّبُرِ الْإِبْرَاهِيمِي

• بقلم الشَّيْخِ: حمزة بُوكُوشَة (ت ١٩٩٤م) ﷺ

وَيَتَعَهَّدُهُمْ، وَلَا يَهْدَأُ بِأُلْهِ حَتَّى يَطْمِئَنَ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا التَّقَى بِوَاحِدٍ مِنْ تِلَامِذَتِهِ أَوْ إِخْوَانِهِ وَمَعَارِفِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يَكُونَ عَلَى اطمْنَانٍ مِنْ حَالَتِهِ الْمَادِّيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَلَا يَكْتَفِي بِذَلِكَ، بَلْ يَسْتَفْسِرُ حَتَّى عَنْ حَالَةِ الْأَصْهَارِ وَالْأَقَارِبِ، فَإِذَا وَجَدَ خَلَّةً سَدَّهَا إِنْ اسْتَطَاعَ، وَيَبْذُلُ فِي ذَلِكَ رَأْيَهُ وَجَاهَهُ، فَيَقْتَرِضُ مِنْ هَذَا لِيُقْرِضَ هَذَا، وَإِذَا عُوتِبَ فِي ذَلِكَ، يَقُولُ: أَنَا أَجِدُ مَنْ يُقْرِضُنِي، وَهَؤُلَاءِ لَا يَجِدُونَ مَنْ يُقْرِضُهُمْ، وَلَقَدْ يَكُونُ فِي حَاجَةٍ إِلَى الشَّيْءِ فَيُؤَثِّرُ بِهِ غَيْرُهُ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمًا فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَالِ، فَاقْتَرَضَ شَيْئًا، فَمَا كَادَ ذَلِكَ النَّصِيبُ يَدْخُلُ جَيْبَهُ حَتَّى جَاءَهُ مَنْ طَلَبَ مِنْهُ الْإِعَانَةَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى تُونِسَ لِيَذْهَبَ وَيُحَارِبَ فِي فِلَسْطِينَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَكْثَرَ الْمَبْلَغِ الَّذِي اقْتَرَضَهُ مِنْذُ دَقَائِقَ، وَهُوَ مُنْبَسِطٌ مُتَهَلِّلُ الْوَجْهِ وَالْجَبِينِ، وَأَنَا أَكَادُ أَتَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ، وَلَمَّا فَارَقْنَا الرَّجُلَ أَنْكَرْتُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ هَذَا مُدْجِلٌ؟ فَقَالَ لِي: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ صَادِقٌ؟ فَقُلْتُ لَهُ: وَهَبْهُ أَنَّهُ صَادِقٌ، أَلَسْتَ أَنْتَ أَشَدَّ حَاجَةً مِنْهُ؟ فَذَكَرَنِي بِحَدِيثِ نَبِيِّ مَا زِلْتُ

«الْحَدِيثُ عَنْ أَسْتَاذِنَا مُحَمَّدِ بْنِ الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِي ﷺ مُتَعَدِّدُ الْجِهَاتِ، كَمَا أَنَّ مُقَاوِمَةَ الْأَسْتَاذِ لِلِاسْتِعْمَارِ مُتَعَدِّدَةُ الْجَبَهَاتِ، وَقَدْ تَكَفَّلَتِ الْجَرَائِدُ وَالْمَجَلَّاتُ بِنَشْرِ كَثِيرٍ مِنْ أَقْوَالِهِ وَالْإِشَادَةِ بِكَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَلَكِنْ ثَمَّةُ شَيْءٍ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ عَاشَرَهُ وَمَازَجَهُ عَنْ كَثْبٍ، وَقَدْ أَسْعَدَنِي الْحَظُّ بِمُلَازِمَتِهِ وَالْعَمَلُ مَعَهُ حِقْبَةً مِنَ الزَّمَنِ؛ فَصَاحِبُهُ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَفِي الرَّخَاءِ وَالشَّدَّةِ، وَهُنَا عَرَفْتُ قِيَمَةَ الرَّجُلِ وَمَكَانَتَهُ، وَكَيْفَ يُؤَدِّي رِسَالَةَ الْإِنْسَانِيَّةِ كإِنْسَانٍ، فَكَيْفَ كَانَ يُعَامِلُ إِخْوَانَهُ وَتِلَامِذَتَهُ وَمُؤَاطِنِيهِ وَخِلَالَتَهُ، وَكَيْفَ يُعَامِلُ خُصُومَ أَفْكَارِهِ وَمُبَادِيهِ، وَكَيْفَ يَقِفُ مِنَ الْمُلُوكِ الْأُمَرَاءِ وَالْحُكَّامِ.

إِنَّ الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ الَّتِي يَحْمِلُهَا هَذَا الرَّجُلُ الْعَظِيمُ لِلنَّاسِ تَكَادُ أَنْ تَكُونَ شَفَقَةَ الْوَالِدِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، فَإِذَا كَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَهَرَّبُ مِنَ الْمَسْئُولِيَّاتِ وَمِنْ مَشَاكِلِ النَّاسِ وَالتَّدْخُلِ فِيهَا، فَإِنَّ أَسْتَاذَنَا يَبْحَثُ عَنْ تِلْكَ الْمَشَاكِلِ بِنَفْسِهِ وَيُحَاوِلُ حَلَّهَا مَهْمَا كَلَّفَهُ ذَلِكَ، فَهُوَ يَتَفَقَّدُ إِخْوَانَهُ

وَلَقَدْ قَالَ لِي يَوْمًا: قُلْتُ لَوْلِي مُحَمَّد -عندما كُنْتُ بَيْتِلْمَسَان، وَقَدْ كَانَ يَقْرَأُ فِي مَكْتَبٍ مَعَ أَبْنَاءِ خُصُومِي فِي الْمَبْدَأِ-: يَا بُنَيَّ، لَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بِمَا تَسْمَعُهُ مِنْ خُصُومَاتِنَا نَحْنُ الْكِبَارُ، فَأَنْتُمْ صِغَارُ، أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْعَدُوِّ، خَالِطُ زُمَلَاءِكَ، وَالْعَبَّ مَعَهُمْ، وَكُنْ مَعَهُمْ فِي الْمَدْرَسَةِ كَأَخٍ، فَأَنْتُمْ إِخْوَةٌ، أَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِجِيلٍ، وَنَحْنُ خُلِقْنَا لِجِيلٍ.

وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْإِخْوَانِ: فَقَالَ: كَيْفَ يَنْزِلُ ضَيْفًا عَلَى مَنْزِلٍ يَسْتَضِيفُ الْحُكَّامَ الْفَرَنْسِيِّينَ، فِيهِ أُسْبُوعٌ يَدْخُلُ هَذَا الْمَنْزِلَ الْحَاكِمُ الْعَامَ الْفَرَنْسِي، وَفِي أُسْبُوعٍ آخَرَ يَدْخُلُهُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ شَيْخُ الْعُلَمَاءِ.

فَقَالَ: إِنَّا نُبَلِّغُ رِسَالَتَنَا فِي أَيِّ مَكَانٍ نَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، وَهَذَا الْمَنْزِلُ الَّذِي يَسْتَضِيفُ الْحَاكِمَ الْفَرَنْسِيَّ إِن لَمْ نَسْتَطِيعْ كَسَبَ صَاحِبِ الْمَنْزِلِ وَفَضْلُهُ مِنَ الْفَرَنْسِيِّينَ فَضْلًا تَامًا، فَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ نُزَلِّزَ ثِقَتَهُ بِهِمْ أَوْ ثِقَتَهُمْ فِيهِ حَتَّى يَرْغَبُوا عَنْ غِيَّهِ.

وَلَقَدْ عِشْتُ مَعَهُ شَهْرًا بِالْشَّرْقِ، وَحَضَرْتُ لِبَعْضِ زِيَارَتِهِ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَالْمُلُوكِ الْعَرَبِ، فَكَانَتْ تَتَجَلَّى فِيهِ صِفَةُ الْعَالِمِ الْمُسْلِمِ؛ يُخَاطِبُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَيُكَلِّمُهُمْ بِصَرَاحَةٍ لَمْ يَتَعَوَّدُوهَا، وَيَتَحَادَثُ مَعَهُمْ فِي شُؤْنِ بُلْدَانِهِمْ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَلَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَسْتَبْقِيَهُ هُنَاكَ فِي مَنْصَبٍ عِلْمِيٍّ كَبِيرٍ، فَلَمْ تُغْرِهِ الْمَنَاصِبُ الْفَخْمَةُ وَالْأَلْقَابُ الضَّخْمَةُ، لِأَنَّ حَنِينَهُ إِلَى الْجَزَائِرِ مَا يَزَالُ يَتَجَدَّدُ، وَلَقَدْ قَالَ فِي إِحْدَى رِسَائِلِهِ بَعَثَ بِهَا مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى

أَحْفَظُ مَعْنَاهُ، أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ عَلَى غَنِيِّ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ قَوْمِهِ: أَنْ فَلَانًا تَصَدَّقَ عَلَى غَنِيِّ، وَقَبَلَ اللَّهُ صَدَقَتَهُ، فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ الْمُتَصَدِّقَ، فَقَالَ: وَعَلَى غَنِيِّ، الْحَمْدُ لِلَّهِ... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَأَفْهَمَنِي مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَغْزَاهُ، ثُمَّ قَالَ: اسْمَعْ يَا وَلَدِي! أَنَا أَضَعُ كَبُوسَ هَذَا عَلَى رَأْسِ هَذَا، وَأَتَحَقَّقُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَتْرُكُنِي، فَأَنَا لَا أَتْرُكُ اللَّهَ.

وَلَقَدْ كُنْتُ أُرَافِقُهُ فِي أَسْفَارِهِ دَاخِلَ الْوَطَنِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، فَكَانَ لَا يُبَالِي أَنْ يَأْكُلَ فِي الصَّبَاحِ خُبْزَ الشَّعِيرِ، وَيَجْلِسَ عَلَى الْحَصِيرِ، وَيَأْكُلَ فِي الْمَسَاءِ مَا لَدَى مِنَ الطَّعَامِ وَيَجْلِسَ عَلَى الْفَرَّاشِ الْوَثِيرِ، وَهَكَذَا الْحَيَاةُ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، نَعِيمُهَا وَبُؤْسُهَا، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، وَكَانَ لَا يَخْرُجُ مِنْ بَلَدِهِ دَخْلَهَا، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُصْلِحَ مَا فِيهَا مِنْ خُصُومَاتٍ بَيْنَ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِ التَّعْلِيمِ، وَيَبْذُلُ غَايَةَ جُحُودِهِ لِإِصْلَاحِ مَا بَيْنَ النَّاسِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ اتِّحَادَ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ ضَمَانٌ لِبَقَاءِ الْمَشَارِيعِ، فَأَنَا لَذَلِكَ أَبْذُلُ الْجُحُودَ لِجَمْعِ الْكَلِمَةِ، لِأَنَّ الْإِسْتِعْمَارَ يَتَرَبَّصُّ بِهِمُ الدَّوَائِرُ، وَيَقِفُ لَهُمْ عِنْدَ كُلِّ مَرَصِدٍ، وَهَكَذَا كَانَ يَسْعَى فِي جَمْعِ كَلِمَةِ الْأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الْقَضِيَّةَ الْجَزَائِرِيَّةَ لَا تَنْجَحُ إِلَّا بِاتِّحَادٍ.

وَكَانَ يُنْكِرُ ذَاتَهُ وَيَذْهَبُ إِلَى مَنْزِلِ هَذَا وَمَنْزِلِ هَذَا، وَلَوْ كَانُوا مِنْ خُصُومِهِ، وَالْغَايَةُ عِنْدَهُ نَشْرُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَجَمْعُ كَلِمَةِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمَا، إِذْ بِهِمَا تُسَمَّى الْأُمَّةُ أُمَّةً.

الجزائر مُخاطبًا الوطن:

«لا تَسَيِّ أَنِّي كُنْتُ لَكَ مِنْ عَهْدِ التَّمَائِمِ إِلَى
عَهْدِ الْعَمَائِمِ، مَا شُغِلْتُ عَنْكَ إِلَّا بِكَ، وَلَا خَرَجْتُ
مِنْكَ إِلَّا عَائِدًا إِلَيْكَ.

خَطَّتِ الْأَقْدَارُ فِي صَحِيفَتِي أَنْ أَفْتَحَ عَيْنِي وَأَنْتِ
مُوثِقَةٌ، فَهَلْ فِي غَيْبِ الْأَقْدَارِ أَنْ أُغْمِضَ عَيْنِي فِيكَ
وَأَنْتِ مُطْلَقَةٌ، وَكَتَبْتَ الْأَقْدَارُ عَلَيَّ إِلَّا أَمْلِكَ مِنْ
أَرْضِكَ شِبْرًا، فَهَلْ تَكْتُبُ لِي أَنْ أَحُورَ فِي ثَرَاكِ قَبْرًا؟»
وهكذا أَجَابَ اللَّهُ رَغْبَتَهُ، فَمَا أَغْمَضَ عَيْنَهُ إِلَّا
والجزائر حُرَّةً مُسْتَقِلَّةً، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ

ﷺ.

حمزة بوكوشة

[جريدة «الشعب»، العدد (٢٣٠٩)،

(ص ٨)، ٢١ مايو ١٩٧٠م]

وَصِيَّةُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ الْفَاسِي

إِلَى أَبِي سَالِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيَاشِيِّ

• أوردَ القَادِرِيُّ فِي «نَشْرِ الْمِثَانِي» - ضَمَنَ «مَوْسُوعَةُ أَعْلَامِ الْمَغْرِبِ» (ص ١٦٢٨) -، هَذِهِ الْوَصِيَّةَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْقَادِرِ الْفَاسِي (ت ١٠٩١ هـ)، أَوْصَى بِهَا أَبَا سَالِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيَاشِيَّ (ت ١٠٩٠ هـ)، حِينَمَا كَاتَبَهُ هَذَا الْأَخِيرَ بِالْإِسْتِجَارَةِ:

قال: «... وَأَجَزْتُ الْفَقِيهَ الْمَذْكُورَ إِجَازَةً تَامَّةً

فَقُلْتُ لَهَا مَا لِي بِرَبِّكَ حَاجَةٌ

عَامَّةٌ وَشَامِلَةٌ، مُوصِيًّا لَهُ بِبَذْلِ الْمَجْهُودِ، وَفِرَاقِ الْوُسْعِ فِي النَّظَرِ وَالتَّثَبُّتِ فِي الْفَتْوَى فِي دِينِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يَقْطَعَ فِيمَا لَمْ يُنْصَ عَلَيْهِ الشَّرْعُ الْعَزِيزُ إِلَّا بِبُرْهَانٍ كَالشَّمْسِ، وَأَنْ يَجْعَلَ الْوَقْفَ حِصْنًا حَصِينًا عِنْدَ عَدَمِهَا.

فَقُلْتُ لَهَا مَا لِي بِرَبِّكَ حَاجَةٌ

فَقُلْتُ لَهَا مَا لِي بِرَبِّكَ حَاجَةٌ

وَلَا يَضَعُ نَفْسَهُ فِي الْمُزَاحِمَةِ عَلَى الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا وَفِي رِيَاسَتِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ مُذْهَبٌ لِنُورِ الْعِلْمِ، مُفْسِدٌ لِلدِّينِ، مُكَدِّرٌ لَصَفْوِ الْيَقِينِ، وَلِذَا قِيلَ:

فَقُلْتُ لَهَا مَا لِي بِرَبِّكَ حَاجَةٌ

فَقُلْتُ لَهَا مَا لِي بِرَبِّكَ حَاجَةٌ

أَلَا إِنَّ حُبَّ الْمَالِ وَالْجَاهِ مُفْسِدٌ قَبِيحٌ، بِأَهْلِ الْعِلْمِ ذَلِكَ أَقْبَحُ وَأَيُّ شَيْءٍ رِيَاسَةُ الدُّنْيَا حَتَّى يُتَنَافَسَ فِيهَا وَيُبْذَلَ أَنْفُسُ شَيْءٍ وَهُوَ عُمُرُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَالِهِ؟!، مَعَ أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْعَنَاءِ سَرِيعَةُ الْإِنْقِصَاءِ عُرْضَةٌ لِلْفَنَاءِ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِنِبَاءِ هَذِهِ الدَّارِ أَنْ تُهَدَّ دَعَائِمُهُ وَتُسَلَبَ كَرَائِمُهُ، فَلَا يَشْتَغِلُ الْعَاقِلُ بِمَا يَفْنَى عَمَّا يَبْقَى، لِذَا قَالَ النَّاصِحُ الْأَكْبَرُ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي؛ فَلَا تَتَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَتَوَلَّيَنَّ مَالَ الْيَتِيمِ».

و[ما] يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِهِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي أَوْقَاتِ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ وَمِفْتَاحُ أَبْوَابِ الْهَدَايَةِ، وَلَقَدْ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْتُبُ لِعُمَّالِهِ: «إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ، فَمَنْ

وَلِيَحْذَرُ أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مُجَرَّدَ الرِّوَايَةِ وَالِدَّرَايَةِ، وَيُهْمِلَ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ مِنَ الرِّعَايَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَأْنٌ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِلْمُبَاهَاةِ وَالْمُطَاوَلَةِ عَلَى الْأَقْرَانِ، وَهَذَا الْعِلْمُ الَّذِي يُكْسِبُ النَّفْسَ طُغْيَانًا وَكِبْرًا وَاحْتِقَارًا لِلْغَيْرِ، وَلَيْسَ مِنْ زَادِ الْآخِرَةِ وَلَا مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ النَّافِعُ الَّذِي يَصْحَبُهُ الْخَشْيَةُ لِلَّهِ، وَالتَّوَاضُّعُ لِجَلَالِ اللَّهِ، وَاحْتِقَارُ النَّفْسِ، وَعَدَمُ الرِّضَى عَنْهَا، بِحَيْثُ لَا يَسْتَحْسِنُ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِهَا، وَلَا يَرَى فِي الْوُجُودِ أَحَقَرَ مِنْهَا، لِمَعْرِفَتِهِ بِقُدْرِهِ، وَجَهْلِهِ بِعَاقِبَةِ غَيْرِهِ، وَلَيْسَتَعْنِ الْإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ بِالْتَّمَرُغِ مِنَ الشَّوَاغِلِ وَتَرْكِ مَا لَا يَعْنِي وَإِثَارِ السَّلَامَةِ عَلَى غَيْرِهَا، كَمَا قِيلَ:

وَقَائِلُهُ مَا لِي أَرَاكَ مُجَانِبًا

أُمُورًا وَفِيهَا لِلتَّجَارَةِ مَرْبَحٌ

الْغَلَطُ فِي سَبِيلِ هُدَاهُ، وَيَجْعَلُ خَيْرَ أَيَّامِنَا وَأَسْعَدَهَا
يَوْمَ لِقَائِهِ، وَيَنْهَجُ بِنَا مَنَاهَجَ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَبْرَارِ،
وَيَرْضَى عَنَّا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَفِي تِلْكَ الدَّارِ، فَإِنَّهُ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ
الْوَكِيلُ.

قَالَ ذَلِكَ وَكَتَبَهُ عَبْدُ رَبِّهِ الْبَائِسُ الْفَقِيرُ، الرَّاجِي
عَفْوَ رَبِّهِ الْقَدِيرِ، عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ
الْفَاسِي، أَصْلَحَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَغَفَرَ ذَنْبَهُ، وَسَتَرَ عَيْبَهُ،
أَوَاسِطَ شَعْبَانَ عَامِ ثَلَاثَةِ وَسْتِينَ وَأَلْفِ (١٠٦٣هـ)،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا». انتهى.

حَافِظَ عَلَيْهَا حَافِظًا عَلَى غَيْرِهَا، وَمَنْ ضَيَّعَهَا كَانَ لِمَا
سِوَاهَا أَضْيَعٌ».

وَهِيَ بِمَثَابَةِ الْوَجْهِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَأَوَّلُ مَا يُرَى مِنَ
الْإِنْسَانِ وَجْهُهُ، وَلَا يُهْمَلُهَا وَيُؤَكَّدُ الْإِشْتِغَالُ بِطَلَبِ
الْعِلْمِ عَنْهَا كَمَا يَظْهَرُ فِي كَثِيرٍ مِنْ طَلَبَةِ الْوَقْتِ، فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي الْخُسْرَانِ وَالْمَقْتِ، وَالْعِلْمُ رَفِيقٌ
بِالْعَمَلِ، فَإِنْ وَجَدَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ، وَلَا يَتْرُكُ الْجَمَاعَةَ
وَيُضَيِّعُهَا إِلَّا خَاسِرٌ، وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ زُرَّوقُ: «وَأِنْ
فَاتَتْكَ تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ، فَلَا كَلَامَ مَعَكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ
التَّقْصِيرِ وَالتَّفْرِيطِ».

وَاللَّهُ يُوفِّقُنَا لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيُجَنِّبُنَا مَوَاقِعَ

وَالْعِلْمُ رَفِيقٌ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ وَجَدَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ



باديسيات

مِنْ مَنُثُورَاتِ الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ بَادِيسٍ رحمته الله

❖ «لَا بُدَّ لِلشَّمْسِ مِنْ ظُهُورٍ وَلَوْ تَكَاتَفَتِ الْغُيُومُ! [٥].

❖ «كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَ بِمَا اسْتَطَاعَ، فِي أَيِّ حَالَةٍ كَانَ» [٦].

❖ «الْعِلْمُ حَيَاةٌ وَالْجَهْلُ مَوْتُ، الْعِلْمُ نُورٌ وَالْجَهْلُ ظِلَامٌ، الْعِلْمُ مَمْدُوحٌ وَالْجَهْلُ مَذْمُومٌ، الْعِلْمُ سَعَادَةٌ وَالْجَهْلُ شِقَاءٌ» [٧].

❖ «لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ مَنْ يَنْصُرُهُ! وَأَنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَلِيَعْلَمَ كُلُّ ذِي مُوسَى! أَنَّ مُوسَى اللَّهِ أَحَدٌ، وَكُلُّ ذِي سَاعِدٍ! أَنَّ سَاعِدَ اللَّهِ أَشَدُّ، وَكُلُّ مُتَرَبِّبٍ! وَمُتَكَبِّرٍ! أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» [٢].

❖ «إِنَّ حَيَاةَ الْأُمَّةِ تُقَاسُ بِنِسْبَةِ مَا فِيهَا مِنْ رِجَالٍ عَامِلِينَ!» [٣].

❖ «إِنَّ الرِّجَالَ تُعْتَبَرُ بِالْأَعْمَالِ، وَإِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْتَبَرُ بِمَا فِيهَا مِنْ نَفْعٍ يَتَعَدَّى الْعَامِلَ إِلَى غَيْرِهِ» [٤].

❖ «إِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ بِالْأَخْلَاقِ، وَالْأَخْلَاقُ بِالتَّرْبِيَةِ، فَالْأُمَّةُ بِعُلَمَائِهَا الَّذِينَ يَقُومُونَ عَلَى تَرْبِيَتِهَا وَتَهْدِيبِ أَخْلَاقِهَا وَتَوْجِيهِهَا نَحْوَ الْخَيْرِ وَالْكَمَالِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، وَقَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»، فَالتَّرْبِيَةُ وَالتَّعْلِيمُ هُمَا وَظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِالْقِيَامِ بِهِمَا كَانَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةً

٥. [«الشَّهَاب»، م ١٤، (ص ٣٩٣ - ٣٩٤)، ج ٨، شعبان

١٣٥٧هـ - أكتوبر ١٩٣٨م].

٦. [«الشَّهَاب»، م ١١، ج ٨].

٧. [جريدة «النَّجَاح»، ١٩٣٢م].

٨. [جريدة «النَّجَاح»، ١٩٣٣م].

١. [«الشَّهَاب»، عدد (١١٢)، (ص ٥)].

٢. [«الشَّهَاب» (١٠/٤٢٦)].

٣. [«الشَّهَاب» (٣/٥٥٧)].

٤. [«الشَّهَاب» (٣/٥٥٧)].

آثار سلفية في التواضع

✽ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «إِنَّكُمْ لَتُغْفَلُونَ أَفْضَلَ

الْعِبَادَةِ: التَّوَّاضُّعُ» [١].

✽ هشام بن حسان قال: ذَكَّرُوا التَّوَّاضُّعَ عِنْدَ الْحَسَنِ، وَهُوَ سَاكِتٌ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ كَأَكْثَرْتُمْ الْكَلَامَ فِي التَّوَّاضُّعِ. قَالُوا: أَيْ شَيْءٍ التَّوَّاضُّعُ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ؛ فَلَا يَلْقَى مُسْلِمًا إِلَّا ظَنَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ» [٢].

✽ سمعتُ الحسنَ يقولُ: «تَذَرُونَ مَا وَجْهُ التَّوَّاضُّعِ؟». قَالَ: وَمَا وَجْهُ التَّوَّاضُّعِ؟ قَالَ: «أَنْ يَخْرُجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَلْقَى مُسْلِمًا إِلَّا وَضَعَ نَفْسَهُ دُونَهُ لِمَا يَعْلَمُ مِنْهَا، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ» [٣].

✽ صالح المري قال: خرج الحسن ويونس وأيوب يتذاكرون التَّوَّاضُّعَ، فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ: «وَهَلْ تَذَرُونَ مَا التَّوَّاضُّعُ؟ التَّوَّاضُّعُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِكَ؛ فَلَا تَلْقَ مُسْلِمًا إِلَّا رَأَيْتَ لَهُ عَلَيْكَ فَضْلًا» [٤].

✽ محمد بن جعفر قال: سُئِلَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ عَنِ التَّوَّاضُّعِ، فَقَالَ: «يَخْضَعُ لِلْحَقِّ وَيَنْقَادُ

لَهُ، وَيَقْبَلُ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ يَسْمَعُهُ مِنْهُ» [٥].

✽ إبراهيم بن الأشعث، قال: سَأَلْتُ فَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ عَنِ التَّوَّاضُّعِ؟ فَقَالَ: «أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ مِمَّنْ سَمِعْتَهُ، وَلَوْ كَانَ أَجْهَلَ النَّاسِ؛ لَزِمَكَ أَنْ تَقْبَلَهُ مِنْهُ» [٦]، وفي التواضع والخُمُول: «... وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِيٍّ قَبِلْتَهُ مِنْهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْهَلَ النَّاسِ قَبِلْتَهُ مِنْهُ» [٧].

✽ يونس بن عبد الأعلى، يقول: سمعتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: «التَّوَّاضُّعُ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ، وَالتَّكَبُّرُ مِنْ شِيَمِ اللَّئَامِ».

قال: وسمعتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: «أَرْفَعُ النَّاسَ قَدْرًا مَنْ لَا يَرَى قَدْرَهُ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ فَضْلًا مَنْ لَا يَرَى فَضْلَهُ» [٨].



١. الزُّهْدُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (ص: ١٦٤)، الزُّهْدُ لِأَبِي حَاتِمٍ

الرَّازِي (ص: ٢)، الزُّهْدُ لِأَبِي دَاوُدَ (٣٥٠).

٢. الزُّهْدُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (ص: ٢٧٩).

٣. الزُّهْدُ لِلْمُعَافَى بْنِ عِمْرَانَ الْمُوصِلِيِّ (ص: ١٦٠).

٤. التَّوَّاضُّعُ وَالْخُمُولُ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (ص: ١٥٢).

٥. شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٧٨٩٥).

٦. جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ - الرِّيَّانُ (١ / ٢٠٥).

٧. التَّوَّاضُّعُ وَالْخُمُولُ (ص: ١١٨).

٨. تَارِيخُ دِمَشْقَ لِابْنِ عَسَاكِرَ (٥١ / ٤١٣).

وَهْرَانُ الْإِسْلَامِيَّةِ

في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (١٠٢)

مَشْهُودٌ بِتِلْكَ الْبَلَدَةِ ...

وفيه، في يوم الأحد، رابع عشره [١٤ رجب ٨٧٠هـ]، قدم عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن النَّجَّار، ولدُ صاحب الأشغال بتلمسان، بل ومُدَبِّر مملكة تلمسان، أعني والدُه عبد الرحمن، وقدم لأجلِ تَعْشِيرِ مَرَائِبِ قَدِمَتْ مِنَ الْفَرَنْجِ بِمَتَاجِرِ لِمَدِينَةِ وَاهْرَانٍ... ثُمَّ عاد بعد يُؤَيِّمَاتٍ إِلَى تلمسان، وبعد أن أوصى عَلَيَّ مُشْرِفَ وَاهْرَانٍ غاية الوصية، وكان المُشْرِفُ على وَاهْرَانٍ إِذْ ذَاكَ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِهَا يُقَالُ لَهُ: «محمد الركاجي»، كان هو المُدَبِّرُ لِوَاهْرَانٍ، وَبِيَدِهِ جَمِيعُ تَعَلُّقَاتِهَا، لَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَهُ كَلِمَةٌ، وَكَانَ وَلِيَّ الْإِشْرَافِ عَنْ (...) [١] وَكَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ وَاهْرَانٍ وَأَكْبَرِهَا، فِي دَوْلَةِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي حَمُو، الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ (...) [٢] فَلَمَّا وَلِيَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ بَعْدَ أَحْمَدِ الْمُعْتَصِمِ الْمَذْكُورِ، أَخْرَجَهُ عَنْ إِشْرَافِ وَاهْرَانٍ، بَعْدَ أَنْ صَادَرَهُ، وَاسْتَقْدَمَهُ إِلَى تلمسان، فَسَجَنَهُ بِالْقَصْرِ بِهَا، هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ دَوْلَةِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي حَمُو، مِنْهُمْ وَزِيرُهُ ...

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا [شَوَّال ٨٧٠ هـ] مُشْرِفُ وَاهْرَانٍ إِلَيْهَا، وَرَأَيْتُهُ شَيْخًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ، مُنَوَّرَ الشَّيْبَةِ، مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ، وَلَهُ مِنَ السَّنِّ فَوْقَ

هذه مقتطفاتٌ من رحلة الشيخ عبد الباسط بن خليل القاهري الحنفي (ت ٩٢٠هـ) إلى بلاد المغرب، وشيءٌ من مشاهداته في مدينة «وَهْرَان»؛ التي كانت حينها تابعةً لمملكة تلمسان الزيانية العبد وادية - وكان سلطانها إذ ذاك: محمد بن أبي ثابت -.

أقام الشيخ عبد الباسط بها في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، دخلها في: يوم الثلاثاء ٢٧ صفر من سنة ٨٦٩هـ، وخرج منها في: ربيع الأول ٨٧١هـ، وهي مُسْتَلَّةٌ مِنْ كِتَابِهِ: «الرَّوْضُ الْبَاسِمُ فِي حَوَادِثِ الْعُمَرِ وَالتَّرَاجِمِ»، بتحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٣، (ص ٤٨-١٢٧-١٢٨-١٣٧-١٨٢-١٨٣-١٨٤):

«وفيه [في يوم السبت ثالث عشرينه - ٢٣ شعبان ٨٦٩هـ -] عُمِلَتْ وَلِيْمَةٌ عَظِيمَةٌ بِمَدِينَةِ وَاهْرَانٍ فِي مَنْزِلٍ خَطِيبِهَا؛ لِأَجْلِ خَتْمِ وَلَدِهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمِ، وَحَضَرَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ بِوَاهْرَانٍ، وَأَكَلَ مِنْهَا غَالِبُ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَحَصَلَ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَزُوزٍ؛ إِمَامُ زَاوِيَةِ إِبْرَاهِيمَ التَّازِي، وَفَقِيهِ الْمَكْتَبِ الَّذِي أَنْشَأَهُ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ، وَهُوَ فَقِيهِ هَذَا الْوَلَدِ الَّذِي أَحْفَظُهُ الْقُرْآنَ، زِيَادَةً عَلَى الْمِائَةِ دِينَارٍ ذَهَبًا، كُلُّ دِينَارٍ زَنَةَ مِثْقَالٍ، وَكَانَ مَهْمًا حَافِلًا فِي يَوْمٍ

١. كلمات ممسوحة في الأصل.

٢. كلمات ممسوحة في الأصل.

السبعين سنة. فلعلّه وُلِدَ قُبيل القرن بيسير.

وكان له إذ ذاك ثلاثة أولاد، نُجَبَاء، طلبة علم، رؤساء، أحدهم يسمّى عبد الرحمن، ويكنى بأبي زيد، شابّ حسن، وُلِدَ بعد الأربعين وثمانمائة، ونشأ نشأة حسنة في عزّة وثروة، وحفظ القرآن العظيم في حالة صغره، وتعلّى الاشتغال بالعلم. ولما قدّمت إلى واهران لازمني مُدّة، وسمع الكثير من نظمي، وقرأ عليّ شيئاً في الطبّ وغيره، وله ذكاءٌ مُفْرِطٌ وفهمٌ وعقلٌ وتؤدّة وحِشمةٌ وأدبٌ وسُكُونٌ وعِزّةٌ أصليّة. ثمّ لم ينسب والدّه أن مات بعد أن تمرّض أياً ما قلّاتل ﷺ ...

وفيه، في ثالثه [الجمعة ٣ مُحَرَّم ٨٧١ هـ]، جرّت بواهران غريبة؛ وهو أنّ شخصاً من التّجار قدم عليها بأشياء، من جملة ذلك ثلاثة قرون ملأى بالزّباد^[١] الجيّد، تُساوي قيمتها جملةً من المال، فخاف إن دخل بها من باب المدينة يؤخذ عُشرها، فأوسّع الحيلة قبل أن يدخل المدينة في إخفائها في إدخالها، والعادة جرّت هناك أنّ من خاف على لِبسه من مثل ذلك، وزّع ما معه لمن يدخل البلد من أهلها، أو أعطاه له ليُدخل له به، فإنّه لا يفتش، سواء عرّفه صاحبُ المتاع أو لم يعرفه، وإذا دخل البلد إمّا قصده صاحبُ المتاع فأخذه، أو جاء هو به إلى صاحبه، فاتّفق أن خرج أمير الباب الذي هو على أخذ هذه العُشور، فرآه هذا التّاجر وهو راكبٌ، فتوسّم فيه الخير وسأله أنّه يأخذ هذه الثلاثة قُرُون، ويدخل بها من الباب لأجل خلاصها له من

التّعشير، من غير أن يعلم أنّه هو المُعشّر صاحب الباب، فأجابهُ إلى ذلك، بعد أن قال له التّاجر: لعلّك تدخلُ بها المدينة وتخلّصني من تعشيرها وتسلّط الظّلمة عليّ، ويحصلُ لك أجرٌ، بل وأثيبك على ذلك بشيءٍ من مالي على وجهٍ حلّ، فقال له: حبّاً وكرامةً، وأخذ منه ذلك، وأخفاه معه، ودخل به من الباب، ثمّ دخل التّاجر بعده، فوجده الجالس لأخذ العُشور بالباب، فحصل عنده الباعث بذلك منه، ولم يُمكنه أن يُقابله ولا يُكلّمه، فقصدني هذا التّاجر، وكان بيننا معرفةٌ من قبل ذلك، وذكر لي واقعة، وصار في غاية الخوف من أن يُنكر العُشار ذلك، أو يجعل له الذّنب مناصر^[٢] جميعه، فإنّه جرّت بعض العادة بأنّ من فعلَ مثل ذلك من التّجار وظفر به، أخذ جميع ما فوزّه وأخفاه من التّعشير، لا سيّما إن طمع في جانبه. فحملتُ همّ هذا المسكين وقلّتُ له: قد غرّرت بنفسك، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله، لكنّ قُمْ بنا إليّه عساه أن يُسخره الله تعالى وتكلّمه في أخذ عُشره ونعتذر إليه، وأنا أساعدك عليه الله، فإنّني أعرف هذا الشّخص، فلعلّه لا يُخيّننا، ولا شكّ عندنا في أنّنا إذا أكرمنا غاية الإكرام أن يأخذ العُشر ويردّ الباقي، وإمّا غير ذلك من أخذ الجميع أو زيادة على العُشر، أو الإنكار رأساً، فصار مُتوهماً لنا، فلمّا قدمنا عليه، ووقع بصره علينا نهض إليّ قائماً وأجلسني بمكانٍ أرفع منه، وأجلس الآخر، ثمّ أخذتُ في الكلام معه سرّاً، وقلّتُ له: خذ العُشر وردّ الباقي إلى صاحبه، ولك أيضاً شيءٌ يخدمك

عَفَّ وَكَفَّ، لَكِنِّي أَعْرِفُ أَصَالَتَهُ، وَكَوْنَهُ مِنْ ذَوِي
الْبَيُوتَاتِ، جزاه الله تعالى خيراً عن هِمَّتِهِ وَمُرُوءَتِهِ،
ثُمَّ أَمَرْنَا بِالتَّكْتُمِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ خَوْفاً مِنْ إِشَاعَتِهَا
ووصولِ عِلْمِهَا لِلسُّلْطَانِ، فَكْتَمْنَا ذَلِكَ عَنْهُ إِلَى أَنْ
سَافَرْتُ مِنْ وَاهِرَانَ....

وفيه، في ثامنهِ [الأربعاء ٨ محرم ٨٧١ هـ]، وَرَدَ
ظَهِيرٌ - وهو الَّذِي كَالْتَوْقِيعِ بِلَادِنَا هَذِهِ - مُكْتَتَبٌ مِنْ
تَلَمَّسَانَ، عَلَيْهِ خَطُّ السُّلْطَانِ صَاحِبِهَا مُحَمَّدَ ابْنِ
أَبِي ثَابِتِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ، بِتَقْرِيرِ إِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِ
وَاهِرَانَ فِي خِطَابَةِ جَامِعِ الْبَيْطَارِهَا، وَصُرِفَ صَاحِبُنَا
الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ الصَّالِحُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ الْقَصَّارِ، الْمَاضِي ذِكْرُهُ غَيْرَ مَا مَرَّةً، وَكَانَ
السَّبَبُ فِي صَرْفِهِ كَلَامٌ بَلَغَ السُّلْطَانُ الْمَذْكُورَ عَنْهُ؛
فِيهِ أَمْرٌ بِمَعْرِوفٍ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ! اهـ.

به، وَلَا تَوَاضَعَهُ. فَقَالَ لَنَا: أَعُوذُ بِاللَّهِ، إِنَّهُ يَقْبُحُ بِي
أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغَرِيبُ قَدْ ظَنَّ فِيَّ الْخَيْرَ، وَأَخَذَ
الْعُشْرَ مِنْ مَتَاعِهِ، وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ الشُّهُودُ وَلَا غَيْرِي
مِنْ أَهْلِ الْبَابِ، وَقَدْ اعْتَمَدَ فِي تَخْلِيصِهِ عَلَيَّ، وَأَنَا
أَحْضَرُ بِهِ إِلَيْكَ بِنَفْسِي، وَالتَفْتُ إِلَى صَاحِبِ الْمَتَاعِ
وَقَالَ لَهُ: مَتَاعُكَ عِنْدَ فُلَانٍ، اقْصِدْهُ بِأَكْرَ النَّهَارِ تَجِدْهُ
عِنْدَهُ، وَأَشَارَ إِلَيَّ، فَشَكَرْتُهُ عَلَى صَنِيعِهِ وَدَعَوْتُ لَهُ،
وَقُمْنَا، وَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلتَّاجِرِ، فَحَصَلَ عَنْهُ بِذَلِكَ
غَايَةُ السُّرُورِ، وَأَحْضَرَ شَيْئاً مِنْ نَوْعِ الْهَدِيَّةِ لِيُعْطِيَهُ
لِصَاحِبِ الْبَابِ إِذَا حَضَرَ عِنْدِي بِالزَّيَادِ، فَمَا اسْتَقَمْنَا
صَلَاةَ الْمَغْرَبِ إِلَّا وَقَدْ حَضَرَ مَعَهُ الْقُرُونُ وَأَسْلَمَهَا
لِصَاحِبِهَا، وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الْهَدِيَّةَ، وَأَنَّهُ لَوْ
ظَفَرَ بِالزَّيَادِ مَعَهُ أَوْ مَعَ غَيْرِهِ لَعَشَّرَهُ، وَكَانَ عُشْرُهُ
نَحْوَ الْعِشْرِينَ دِينَاراً، فَعَجِبْتُ مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ غَايَةَ
التَّعَجُّبِ، مَعَ ظُلْمِهِ وَوُقُوفِهِ فِي هَذِهِ الْوُضُوعِ كَيْفَ

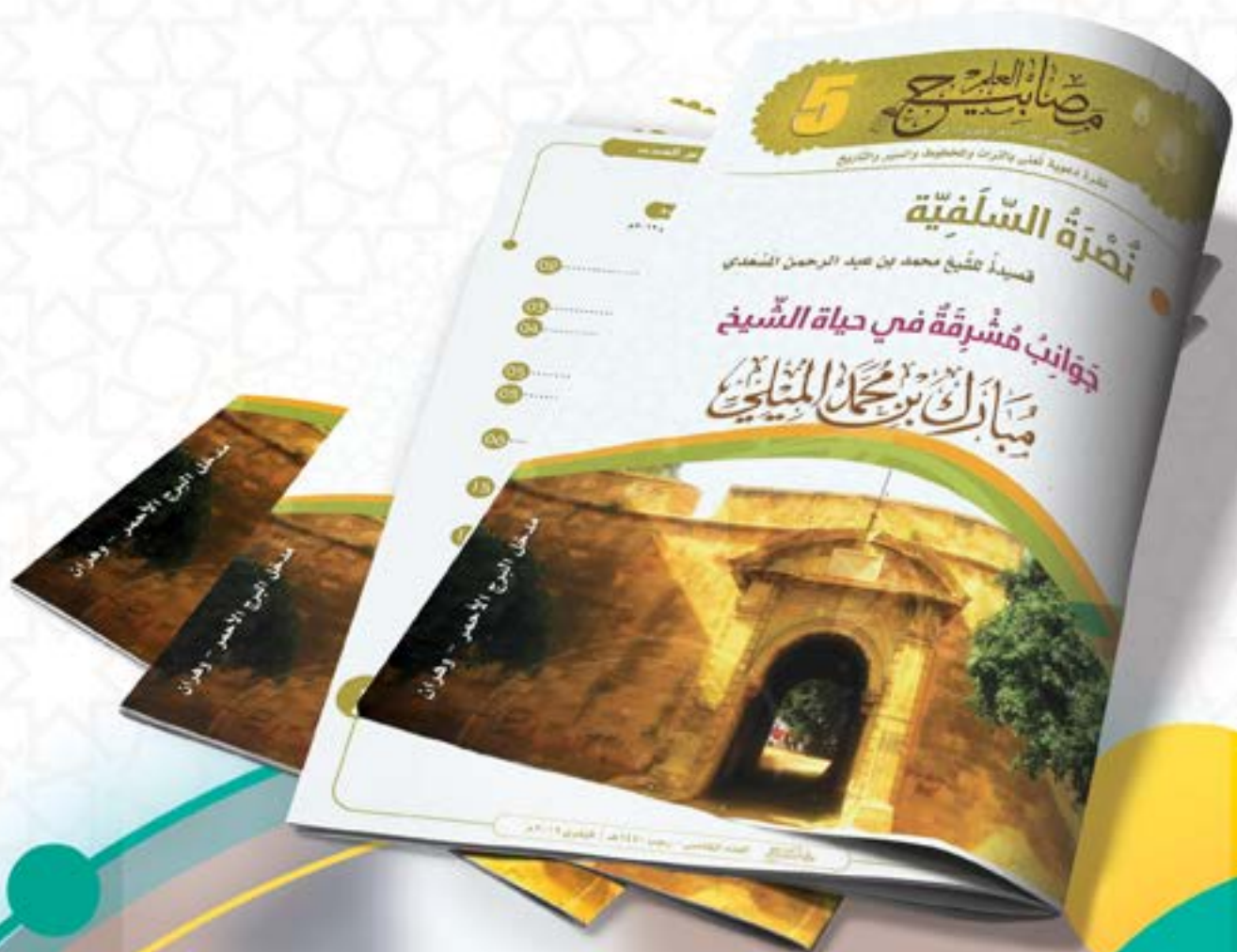
مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير - وهران



من إصداراتنا



العدد السابق [٥٠] ...



مصاباة العليم
سنة ١٤٤١ هـ



(+213) 557 658 006



aboumohamedsamir@gmail.com



www.ilmmasabih.com